الفصل الرابع

1- برقة في العهدين الإغريقي والبطلمي
2- طرابلس بين الفينيقيين والرومان
3- فزان منذ الجرامنتيين حتى بداية العصر الروماني

برقة في العهدين الاغريقي والبطلمي

(631 - 96 ق. م.)

كلمة لا بد منها:

سبق أن اشرنا إلى ليبيا في عصر ما قبل التاريخ كانت تنقسم إلى منطقتين حضاريتين أولهما غربية هي منطقة طرابلس وكانت واقعة تحت تأثير الحضارتين المجاورتين لها من الغرب: حضارة قفصه في تونس وحضارة وهران على طول الساحل من خليج قابس بتونس حتى نهاية ساحل المغرب الأقصى على المحيط الأطلسي. وثانيتهما شرقية هي منطقة برقة وكانت واقعة تحت تأثير الحضارة المصرية ومن ورائها تأثير الحضارة الآسيوية. وأشرنا في موضع آخر إلى أن اتساع رقعة الأرض الليبية، وطبيعتها الصحراوية، وصعوبة مواصلاتها، وقلة كثافة سكانها، وعدم اتحاد قبائلها أدت جميعا إلى ضعف البلاد، والى عدم قيام سلطة مركزية قوية فيها مما أتاح للغزاة التغلب عليها دائما بسهولة. وسنحتاج إلى الإشارة لهذا الوضع بين الحين والآخر في الفصول القادمة لتفسير مواقف متعددة استطاعت قوى خارجية تتفاوت قوة وضعفاً أن تتغلب فيها على الديار الليبية بعضها أو كلها دون عناء كبير.

من هذا القبيل ما تم للإغريق حينما استوطنوا ساحل برقة وللفينيقيين حينما أقاموا لهم وجودا على ساحل طرابلس. ولقد تركت هذه القسمة المبكرة أثرها على البلاد حتى سنوات قليلة مضت؛ فقد راحت منطقة برقة تتطور حضاريا تحت تأثير الحضارة الإغريقية المزدهرة على ساحلها، بينما تأثرت منطقة طرابلس بالحضارة الفينيقية ذات الطابع التجاري عن طريق المراكز التجارية الفينيقية القائمة على الساحل الطرابلسي ، وبقيت الأقسام الداخلية من البلاد حتى العهد الروماني بعيدة نسبيا عن المؤثرات الحضارية، ومتمتعة معظم الوقت بما يشبه الاستقلال الفعلي مما جعل تاريخها يتميز بالطابع البدوي القبلي. وحتى في العهد الروماني بشقيه الغربي والشرقي

أو البيزنطي ظلت هذه القسمة قائمة عملياً وان كانت غير قائمة رسمياً بحكم تبعية المنطقتين لسلطة واحدة. وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية لم تلبث منطقة طرابلس حتى خضعت للو ندال بينما ظلت منطقة برقة تابعة للامبراطورية البيزنطية. وحتى خلال عصر الأباطرة الرومانيين الأول نجد أن عنصرا جديدا قد طرأ على الصورة وهو نشوء مركزي قوة كبيرين مجاورين لليبيا: الأول في الغرب في ولاية افريقية الرومانية الجديدة التي حلت محل قرطاجة الفينيقية في تونس والآخر في الإسكندرية بمصر. وكان هذان الرومانيان يحرصان على إن يمدا نفوذهما على ليبيا. الأول على منطقة طرابلس والثاني على منطقة برقة. والذي كان يحدث نتيجة لهذا التنافس هو زيادة اتضاح القسمة السابقة للبلاد. وحتى في العهد الإسلامي نجد أن هذه الصورة الأساسية لم تتغير كثيرا فقد أصبحت مدينة القيروان مركز القوة الإسلامية في ولاية افريقية غربي ليبيا بينما أصبحت الفسطاط ومن بعدها القاهرة مركز القوة الإسلامية في مصر إلى الشرق من ليبيا. واستمرت ليبيا منطقة تنازع نفوذ بين هذين المركزين الإسلاميين. فوالي الفسطاط أو القاهرة يحاول دائماً أن يبسط نفوذه على برقة ويتولى تعيين ولاتها بينما يحاول والي القيروان أبدا أن يبسط نفوذه على منطقة طرابلس ويتولى تعيين ولاتها. وقد ينجح أحد المركزين في بسط نفوذه على ليبيا بأسرها إلى حين. إلا أن الغالب هو أن تكون برقة تابعة لوالي مصر بينما تكون طرابلس تابعة لوالي افريقية وتبقى الدواخل مستقلة فعلياً بشؤونها وان كانت تتبع رسمياً للسلطة المركزية وهي الخلافة.

ونحن اذا أمعنا في تتبع هذه الصورة الانقسامية سنجد أنها ترافق تاريخ ليبيا في العهد العثماني وأثناء الاحتلال الايطالي وخلال عهد الإدارة الحليفة وحتى في عهد الاستقلال وقيام المملكة الليبية المتحدة بولاياتها الثلاث : برقة وطرابلس وفزان. ولم تختف هده الصورة الانقسامية إلا بعد إلغاء الدستور الاتحادي وإعلان وحدة البلاد وفقاً لدستور أبريل- نيسان 1963 مما أنهى رسمياً عهد انقسام طويل أسهم في عرقلة نهضة البلاد طيلة تاريخها الماضي. والمأمول أن تعمل الجمهورية العربية الليبية الفتية. التي

أقامها الجيش بعد ثورته البيضاء صباح اليوم الأول من سبتمبر-أيلول 1969. على تحقيق الوحدة الوطنية عمليا بربط أجزاء البلاد بشبكة حديثة من المواصلات المختلفة. بتطوير المجتمع الليبي تطويرا عصريا يخلصه من التركة الثقيلة التي خلفها له النظام القبلي القديم.

الإغريق في منطقة برقة

كانت بلاد اليونان. برها وجزرها. تخضع لحكومات مدينية كل منها مستقلة تماما عن حكومات المدن الأخرى. وكانت حكومة مدينة أثينا. على البر اليوناني. وحكومة مدينة اسبارطة. على شبه جزيرة البلوبونيز . أشهر اثنتين من هذه الحكومات المدينية التي كانت علاقاتها ببعضها البعض علاقات عداء وحروب أكثر الوقت. ولما كانت بلاد اليونان جبلية. قليلة الموارد. فإنها كانت تشكو الفقر في معظم الأوقات. وكانت مشكلتها هذه تزداد حدة بتزايد عدد سكانها وبسبب قوانين الإرث التي كانت تعطي تركة الأب للابن الأكبر على حساب إخوته الآخرين فكان ينتج عن ذلك أن اعداداً كبيرة من الإخوة والأخوات كانوا يجدون أنفسهم فجأة ولا أملاك لهم. وبالتالي لا مناص لهم من الهجرة إن أرادوا البقاء على قيد الحياة. فإذا أضفنا إلى هذه العوامل عامل حب المغامرة والجري وراء المجهول لدى الإغريق. ثم وعي كهنة المواحي . خاصة موحى دلفي. بالمشكلة وشدة إيمان الإغريق بتلك المواحي. أدركنا إن توسعهم خارج بلادهم كان واقعا لا محالة كقضية حتمية في تاريخهم. ولذلك فان الدارس لتاريخهم يلاحظ أنهم بدأوا منذ القرن السابع قبل الميلاد يتوسعون ويقيمون المستوطنات على شواطئ آسيا الصغرى والبحر الأسود وعلى سواحل جنوب ايطاليا وفي صقلية وقبرص ثم مصر وليبيا[1].

1- تشير المصادر الكلاسيكية إلى أن برقة وبقية ليبيا عرفت عناصر قادمة من بلاد اليونان ممن سبقوا الغزو الدوري لبلاد اليونان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وكانت تلك العناصر تنتمي إلى كريت وتسالي وشبه جزيرة البلوبونيز بالإضافة إلى عناصر أخرى قادمة من آسيا الصغرى (وربما كان هؤلاء هم الشردن أسلاف سكان جزيرة سردينيا الذين قدموا إليها أصلا من آسيا الصغرى).
ويذكر الشاعر الإغريقي پندار أن عناصر من أهل طروادة (في آسيا الصغرى) قدمت إلى برقة هاربة من طروادة المدمرة في الوقت ذاته. انظر أيضاً:
Cyrenaican Expedition of the University, of Manchester 1952,

وكان الديـــن يلعب دورا كبيرا في حياة الإغريق القدماء شـأنهم في ذلك شأن معظم شعوب العالم. وكانوا يؤمنون إيمانا قويا بما تلقيه إليهم آلهتهم المختلفة على ألســـنة كهنة مواحيها وخاصة موحى دلفي. موحى الإله ابولو ابن الإله زيوس: فلقـــد طالما ذهب الإغريق زرافات ووحداناً إلى موحى أبولو في دلفي ليقدموا له القرابين. ويستشيروه في شؤونهم الخاصة والعامة. و كان مـــن الطبيعي أن يكون كهنة الآلهة المختلفة بمـــا فيهم كاهنة موحى دلفي على وعي بمشـــكلات بلادهم. وبضرورة تشجيع مواطنيهم على الهجرة إلى الخـــارج. باعتبار الهجرة أفضل حل لتلك المشـــكلات. ولذالـــك فان هيرودتس يخبرنـــا أن فكرة هجـــرة الإغريق إلى ليبيـــا إنما نبعت أصلا مـــن موحى ابولوا في دلفي. يقول هيرودتس نقلا عن أهالي جزيرة ثيرا (= ســـنتوريون الحالية) الذين كانوا قد بعثوا وفدا منهم لاستشارة موحى دلفي في سبب انحباس المطـــر عن جزيرتهم : ذهب جرنوس (Grinnus) بن ايزانيوس (Aesanius) ســـليل ثيراس (Theras) وســـيد جزيرة ثيرا إلى دلفي ليقـــدم قرباناً قوامه مائـــة ضحية نيابة عـــن أهالي الجزيرة. وكان بين الوفد الـــذي رافقه من أهالي الجزيرة شـــخص اسمه باتوس (Battus) ابن بولمنستون (Polymnestus) من أســـرة مينوية. وقد استشـــار جرنوس أثناء اقامته فـــي دلفي الاله أبولو فـــي امـــور عديدة. وتلقي من كاهنـــة الموحى جواباً لم تكن لـــه علاقة ظاهرة بموضوعـــات الاستشـــارة. ويتلخص في وجوب قيام جرنوس بتأســـيس مدينة فـــي ليبيا. وعندما ســـمع جرنوس ذلك الجـــواب احتج بقولـــه: ولكن يا إلهي أبولو. أنا رجل طاعن في الســـن وضعيف إلى درجة لا تســـمح لي بالبدء بمثل هذه الرحلة. أفلا تســـطيع أن تكلف واحدا من هؤلاء الشـــباب بالقيام بتلك الرحلـــة بدلا مني ؟. قال هذا وهو يشـــير باصبعه إلـــى باتوس. ولكـن لم يطرأ أي جديد على الموقف في ذلك الحين. ورحل الوفد عن دلفي ونســـوا ما تفوه به الموحـــى ولم يتخذوا أي اجراء عملي بهـــذا الصدد لأنهم كانوا يجهلون موقع ليبيـــا. ولذلك فقد أحجموا عن ارســـال جماعة من المســـتوطنين إلى مكان كانوا يجهلون حتى موقعه.ولم تسقط في جزيرتهم خلال السنوات السبع

Manchester University Press, 1956,Manchester, England, Edited by: Allan Rowe with contributions by Derek Buttle and John Gray.

التالية نقطة مطر واحدة وجفت جميع اشـــجار الجزيـــرة ما عدا واحدة. وفي هذا الظرف القاسي أرسل أهالي ثيرا إلى موحى دلفي يتشيرونه ثانية فكان الجواب تذكيرا لهم بوجوب اقامة المستوطنة التى تناسوا أمرها في ليبيا. ولما جاءهم هذا الجواب لم يبق لديهم غير أن ينفذوا الأمر فبعثوا إلى جزيرة كريت يستفسرون عما اذا كان أحد أبنائها أو أحد الغرباء من المقيمين بها قد سبق لـــه ان زار ليبيا. وبينما كان وفدهم يتجول فـــي كريت. وصلوا إلى بلدة اتانس ((Itanus)) حيـــث صادفو تاجر أصبغة اســـمه كوربيُس ((Corobius)) فأخبرهم أن عاصفة دفعته في احدى سفراته إلى جزيرة بلاتيا[2] ((platea)) القريبة من الســـاحل الليبي. واتفق الوفد مع كوروبيس هذا أن يعود معهم إلـــى جزيرتهـــم ثيرا مقابل مبلغ من المال دفعوه لـــه. وبعد ذلك بقليل أبحرت من ثيرا جماعة استطلاعية تولى كوروبيس ارشادهم حتى وصلوا إلى بلاتيا. وهناك تركوا كوروبيس على شاطئها تركوا عنده مؤونة تكفيه لأشهر اتفقوا علـــى عددها وكروا عائدين بســـرعة إلـــى جزيرتهم ليزفوا إلى أهلها بشـــرى اكتشـــافهم للجزيـــرة. ولكنهم تجاوزوا المدة التى كانـــوا قد اتفقو عليها مع كوروبيس فبدأ الرجل يقاسي من قلة المؤونة حتى يسر له القدر سفينة من سفن جزيرة سامس كانت في طريقها إلى مصر بقيادة رجل اسمه كولايس ((Colacus)) فحملتها الرياح إلى جزيرة بلاتيا. وبعد ان اســـتمع ملاحوها إلى قصة كوروبيس تركوا له مؤونة تكفيه ســـنة كاملة واستأنفوا رحلتهم إلـــى مصر التى كانوا يتعجلون الوصول إليها. ولكـن الرياح الشـــرقية حالت دون وصولهم إلى مصر وســـاقتهم غربا عبر أعمدة هرقل إلى ان اســـعفهم حـــظ يفوق حظوظ البشـــر بالوصول إلى طرطســـوس[3] ((Taressus)) وهو مـــكان لم يكن قد اســـتغل حتى ذلك الحين. وترتب علـى ذلك ان تجار ســـامُس الذين كانو في تلك الســـفينة ربحوا من الحمولـــة التى عادوا بها إلى بلادهم اكثر من أي تاجر اغريقي آخر نعرف اخباره الصحيحة باســـتثناء سوستراتُس ((Sostratus)) ابن لودامس ((Laodamus)) من جزيرة ايجينا فهو تاجر

2- كانت تقوم في خليج بمبا وتعرف باسم جزيرة خروف البحر «Seal Island»

3- إقليم في جنوب إسبانيا قرب نهر الوادي الكبير. وكان هذا الاسم يطلق على النهر نفسه وعلى مدينة في مصبه

لا يمكن ان يقارن به في الربح أي تاجر آخر..... وكانت المساعدة التى قدمها تجار سامس لكوروبيس أصل الروابط الودية الوثيقة بين جزيرة سامس من ناحية وقورينة وثيرا من الناحية الاخرى.

أمـا ابناء ثيرا الذيـن تركوا كوربيس على جزيرة بلاتيا بعد وصولهم إلى جزيرتهم ابلغوا اهلها انهم اقاموا مستوطنة على جزيرة قريبة من الشاطئ الليبي فتقرر ارسال جماعة اخرى لتنضم إلى المستوطنة على ان تكون تلك الجماعة ممثلة لاقسام ثيرا السبعة وأن يقترع الاخوة فيما بينهم لتقرير من الذي سيدهب منهم، وان يتولى السلطة المطلقة على تلك الجماعة باتوس. وبعد ذلك ابحرت الجماعة في سفينتين من ذوات الخمسين مجدافا [وهما تحملان مائتي رجل] إلى جزيرة بلاتيا....

وتتفق رواية أهل ثيرا وأهل قورينة على أن باتوس كان بلسانه عقدة منذ طفولته، وأن والديه سمياه بذلك الاسم منذ ولادته. ولكنني شخصيا أرى انه لم يسم بذلك الاسم الا بعد ذهابه إلى ليبيا حيث تسمى باتوس تحقيقا لما كان قد افضى به موحى دلفي وبسبب المركز السامي الذي صار يشغله فـي ليبيا - ذلـك ان كلمة ((باتوس)) تعني ((ملـكاً)) في اللغة الليبية[4] ويخيـل إلـيَّ أن كاهنة موحـى دلفي انما أطلقت عليه ذلك الاسم الليبي عندما خاطبته بما اوحى به إليها الإله ابولو لانها كانت تعرف أنه سيصبح ملكا في ليبيا؛ ذلك ان باتوس عندما بلغ سن الرشد ذهب إلى موحى دلفي ليستشيره بشأن ما كان عليه لسانه من لعثمة فاجابه الموحى قائلا : اه يا باتوس ! انك من اجل صوتك جئت إلينا، ولكن الاله ابولو يبعث بك إلى ليبيا، مرتع القطعان، لتبني فيها مدينة، وهذا الخطاب باليونانية يعادل قول الاله : ((اه ! يا ايها الملك.....)) وكان جواب باتوس في هده المناسبة ان شكا أنه انما جاء يستشير الموحي في كيف يتخلص من لعثمته فالقى عليه جوابا لا يناسب سؤاله وانما ينصحه بتأسيس مستوطنة في ليبيا[5]، وذلك مشروع

4- اسمه الأصلي أرسطو طاليس «Aristoteles» ولكنه صار يعرف باسم باتوس فيما بعد.

5- قيل إنه شفي من تلك العلة نتيجة لصدمة أصابته عندما وجد نفسه فجأة أمام أحد الأسود في ليبيا.

هو أعجز من ان يقوم به - فما الموارد التى كانت لديه ومن الذي كان يمكنه ان يقنعهم بمرافقته؟ ولكن شكواه لم تجده نفعاً ولم يستطع ان يستخلص من الموحي أي جواب آخر بل ان الكاهنة كررت على مسامعه الجواب الأول. ولـم ينتظر باتوس حتى تفرغ الكاهنة من إلقاء الجواب فـي المرة الثانية بل اسرع عائـدا إلى ثيرا. ولكن حالته لم تتحسن بعد ذلك فقد ادبرت الدنيا عنه وعن غيره من أهل الجزيرة دون ان يتمكنوا من معرفة السبب. ولما أعادوا الكرة واستشاروا موحي دلفي من جديد اجابتهم الكاهنة بضمون جوابها الاول وان كان في كلمات جديدة اذ انها قالت انهم اذا انضموا إلى باتوس في تأسيس مستوطنة في ليبيا فان حظوظهم سوف تتحسن. وكانت هده النصيحة كافية لحملهم على أرسال باتوس مع جماعة من المستوطنين في سفينتين من ذوات الخمسين مجدافا كما سبق. وبعد ان وصلوا الشاطئ الليبي لم يتمكنوا من اتخاد قرار بالخطوة التالية فعادوا إلى ثيرا ولكن اهلها لم يسمحوا لهم بالنزول على شاطئها ورشقوهم بما وقعت عليه ايديهم عندما رأوهم يتجهون إلى الميناء، وصاحو فيهم معلنين وجوب عودتهم من حيث اتوا. ولما راى باتوس ورفاقه موقف اقربائهم ذاك قرروا ان لا سبيل لهم غير العودة فكرُّوا راجعين إلى ليبيا واستقروا هذه المرة في جزيرة بلاتيا التى كانت قريبة من الشاطئ الليبي، وهي جزيرة يقال ان مساحتها مساوية لمساحة قورينة في هدا الوقت [القرن الخامس قبل الميلاد].

واقـام هـؤلاء المستوطنون في جزيـرة بلاتيا مـدة سنتين ولكنهم لم يصادفوا أي ازدهار في وطنهم الجديد مما حملهم على الابحار إلى بلاد اليونان ليستشيروا موحى دلفي تاركين وراءهم في بلاتيا رجلا واحدا فقط. وعندما بلغـوا موحـى دلفي اعلنـوا امامه ان حالته لم تتحسن رغـم انهم كانوا يعيشون في ليبيا. وأجابتهم كاهنة الموحى ببيتين من الشعر قائلة بلسان أبولو انه هو زار ليبيا اما هم فأنهم لم يفعلوا، وبناء على ذلك فانهم ان كانوا يعرفون تلك البلاد اكثر منه هو فهم مفرطون في الذكاء دون شك! ولما سمع باتـوس ورجاله ذلك الجواب اعـادوا الكرة وابحروا إلى بلاتيا لانه اتضح لهم ان ابولوا لن يتركهم وشأنهم الااذا اقاموا مستوطنة حقيقية على البر الليبي.

ولهـذا فانهم مروا بجزيرة بلاتيا والتقطوا الرجل الذي كانو قد خلفوه عليها ثم عبروا إلى البر الليبي وأقاموا على شـاطئه مدينة على مسـافة قصيرة إلـى الجنوب مـن بلاتيا في بقعة اسـمها أزيـرس[6] «Aziris» - وهي بقعة خلابة يجري في احـدى جنباتها نهر وتحيط بها أودية بديعة. وأقاموا في هذا المكان سـت سـنوات ثم اقنعهم الليبيون بمغادرته وتعهدوا ان يدلوهم على مكان افضل منه. وبعد موافقتهم على الاقتراح الليبي سار بهم أصدقاؤهم الليبيون - وكانوا من قبيلة الجليجامي (Giligamae) - ووقتوا مسيرتهم بحيث يجتـازون بهم منطقة إراسـا (Irasa) [لعلها أم الـرزم] وهي أجود بقعـة في البلاد. تحت جنح الظلام وذلك حتى يحولـوا دون رؤيتهم لها [لئلا تعجبهم فيسـتقروا بها]. واخيراً وصلوا إلى النبع المسمى ((نافورة ابولو)) وهنـاك قـال الأدلاء الليبيون للإغريـق: ((هذا هو المكان الـذي يجدر بكم ان تستقروا فيه لان سماءه مثقوبة))[7].

وفي حياة باتوس، مؤسس قورينة وسيدها طيلة اربعين سنة، وفي حياة ابنه اركيسيلاوس (Arcesilaus) الذي كان سيدا للمدينة لمدة ست عشرة سـنة ظل عدد سكان قورينة مساويا لعدد المستوطنين الاصليين. وفي عهد ملكها الثالث المعروف باسـم ((باتوس السـعيد)) اعلن موحى دلفى نبوءة تسببت في تزاحم الإغريق عامة على الهجرة لمستوطنه قورينة؛ فقد حدث ان اهالي قورينة كانوا يقدمون هبات من الاراضي للمستوطنين الجدد عندما اعلـن موحى دلفي ((أن كل مـن يذهب إلى ليبيا البهيجـة بعد الفراغ من تقسيم الاراضي سيندم على عمله في يوم من الأيام))[8].

تلك هي رواية هيرودتس عن تأسيس الإغريق الدوريين لمستوطنتهم الأولى قورينة (= سيرين، شحات). والمؤرخون متفقون على ان تأسيسها كان سنة 631 ق. م. في موقع من أراضي قبيلة الاسبستي (Asbystae) الليبية[9].

6- مـن المحتمل أن يكون ذلك المكان هو موقـع تميمي إلى الجنوب قليلا من درنة وربما كان وادي الخليج بعينه.

7- أي إنها كثيرة المطر. انظر أيضاً ص 224 أعلاه.

8- Herodotus, iv, pp. 292 – 296.

9- Smith, Captain R. Murdoch, R.E. & Commander E.A. Porcher, R.N., History of the Recent Discoveries at Cyrene – made during

ولقد عطف الليبيون في بداية الأمر على المهاجرين الإغريق ورحبوا بهم ونشـأت بين الفريقين علاقات صداقة أدت إلى تزوج شـباب الاغريق المهاجرين مـن فتيـات ليبيات. كما تجلـت فيما بعد فـي مجاملة النسـاء الاغريقيات لليبيـات بالامتناع عـن أكل لحم البقر الـذي كان النسـاء الليبيات يحرمنه على انفسـهن تقديسـا للالهة المصرية نيث ثم ايزيس التى أصبح النساء الاغريقيات ايضا يقدسـنها ويعتبرنها نظيرة لإلهتهن دميتير (Demeter). وسيتضح لنا فيما بعد كيف بدات القبائل الليبية تهاجم الاغريق وتحاربهم بسـبب اشتداد هجرتهم، وتوسعهم الاقليمي على حساب الليبين، واتضاح نواياهم ومطامعهم الاستعمارية. ولقد ذكر هيرودتس فيما تقدم مساعدة الليبين للإغريق في اختيار موقع قورينة. اما لماذا اسـموها قورينة فان احدى الاسـاطير الاغريقية تعطينا الجواب. تقول الاسطورة ان الإله ابولو شغف بفتاة اغريقية إسـمها قورينة (Kurana) فراح يجري وراءها من بلاد اليونان إلـى ليبيا حيث تمكن منها. وكانـت قورينة فتاة رائعة الجمال، متحررة الذوق، ولم تكن تحب السـير ذهابا وإيابا امام آلة الغزل، أو المشـاركة في الحفلات مع صواحبهـا داخل المنزل، وانما كانت مولعة بصيد الحيوانات الشرسـة وقتلها برمحهـا وسـيفها البرونزيين من أجل تأمين السـلامة لقطعان والدها. ولم تكن قورينة تسـمح للنوم ان يلمس جفونهـا الا لفترة قصيرة قبيل الفجر. وفيما يلي خلاصة للقصيدة التي نظمها الشاعر بندار في وصفها:

((بينمـا كانت قورينة ذات يوم تكافح اسـدا ضخمـا بيديها العاريتين، رآهـا الإله ابولو فاعجب بها ووقع فـي حبها ولكنه كان في حيرة من امره، لا يدري ماذا يصنع ، ولذلك فانه اسـتدعى مستشـاره وسأله قائلا: ((هل من الشـرع ان أباشـر الاتصال بها فـورا ام الافضل ان اقطـف الزهرة الحلوة على فـراش الزوجية ؟)) ويعلق المستشـار في رده بقولـه ان الإله أبولو يعرف كل الاجوبة؛ ويضيف المستشـار قولـه :((انك قدمت لهذا الـوادي لتتزوج هذه الفتاة وانه مقدر لك ان تحملها عبر البحر إلى احدى حدائق الإله زيوس المختارة حيـث تجعلهـا ملكة لاحدى المدن وذلك بعد ان تكون قـد جمعت أبناء احدى

---

an expedition to Cyrenaica in 18601861- under the auspices of her Majesty’s Government – Day and son London 1864, p. 2.

الجزر ولمت شملهم على رابية تقوم وسط سهل رحيب. وآنذاك ستكون ليبيا ذات المروج الرحبة سعيدة باستقبال العروس البديعة في منزل ذهبي. وسيسعد ليبيا ان تقدم للعروس كهدية قطعة من الارض تعيش عليها متمتعة بشتى انواع الفواكه والمزروعات ومستأنسة شتى انواع الحيوانات.

وتم كل شيء بسرعة وفقا لارادة الإله؛ وزفت إليه العروس في صالة ليبة مذهبة. ومنذ ذلك الحين حتى الان وقورينة تتردد على مدينتها ذات الجمال الرائع وذات الإبداع في مختلف الألعاب)).

العهد الملكي 631 - 440 ق.م :

وهكذا أسس الإغريق مستوطنتهم الأولى كحكومة مدنية على غرار ما عرفوه في بلادهم الأم. وتولى الحكم فيها باتوس الذي أصبح ملكا لها. وتوالى حكمها في أسرته. رغم قيام عدد من الثورات. حتى سنة 440 ق.م. وكان عدد ملوك هذه الأسرة ثمانية؛ أربعة منهم حملوا اسم باتوسوالاربعة الآخرون حملوا اسم اركسيلاوس. وتعاقبوا جميعا على الحكم فكان أولهم باتوس الأول ثم تولاه ابنه اريلاوس الأول فباتوس الثاني. وهكذا. وفيما يلي أسماؤهم والفترة التي حكم خلالها كل منهم[10]:

1- باتوس الأول 631 - 591 ق.م.

2- أركسيلاوس الأول 591 - 575 ق.م.

3- باتوس الثاني ((السعيد)) 575 - 554 ق. م.

4- آركسيلاوس الثاني ((الطاغية)) 554 - 544 ق.م.

5- باتوس الثالث ((الأعرج)) 554 - 529 ق.م.

6- اركسيلاوس الثالث وأمه فريتيم 529 - 515 ق.م.

7- باتوس الرابع ((الوسيم)) حوالي 500 - 465 ق.م.

10- هذه التواريخ تقريبية ومبنية على أساس الإشارات التي وردت في المصادر الكلاسيكية لقورينة وسلوكها؛ فعلى سبيل المثال أعتبرنا سنة 631 ق.م. بداية حكم باتوس الأول لأن الكتاب أجمعوا أنها سنة تأسيس قورينة. واعتبرنا سنة 591 ق.م. نهاية لأن هيرودوتس ذكر أنه حكم قورينة مدة سنة أربعين سنة.

8- آركسيلاوس الرابع حوالي 465 - 440 ق.م.[11]

وفي السنة الثالثة من عهد باتوس الثاني ((السعيد)) أي سنة 572 ق.م. تضخم عدد سكان قورينة نتيجة لتحريض موحى دلفي للاغريق على الهجرة إلى ليبيا. ومن الطبيعي ان ينتج عن تضخم عدد السكان اشتداد الحاجة للمزيد من المواد الغذائية وبالتالي إلى الاراضي المنتجة لها وهذا يعني وجوب توسع قورينة على حساب قبيلة الاسبتسي الليبية المجاورة لها. وهكذا بدأت قورينة تتعدى على الأراضي الليبية المجاورة وتغتصبها. واستمرت تتوسع على هذه الصورة حتى اثارت نقمة الاسبتسي الذين أغضبتهم نزعة السيطرة القورينية من ناحية وفقدان اراضيهم من الناحية الاخرى مما حملهم في عهد شيخهم ادكران (Adicran) على إرسال وفد إلى بلاط ايرييز (Apries) ملك مصر. وقدم الوفد إلى مصر واعلنوا ولاءهم وتبعيتهم هم وقومهم لملك مصر ثم شكوا إليه أمر قورينة. وخفت قوات قورينة لمجابهة القوة المصرية القادمة فوقعت بين الفريقين معركة قرب بئر ثيستيس (Thestes) في اراسا سنة 570 ق.م هزم الجيش المصري فيها هزيمة منكرة بحيث لم يعد من جنده إلى مصر سوى عدد قليل. ويعلل هيرودوتس تلك الهزيمة بانها ((كانت ناجمة دون شك عن انعدام الخبرة لدى المصريين بحرب الإغريق وعن عدم استعداد المصريين لمعالجة الموقف معالجة جادة))[12] ونتيجة لفشل هذه الحملة أثار اتباع ايرييزعليه وحملوه شخصيا مسؤولية الكارثة. اما قورينة فقد توطد سلطانها وتأكدت سيادتها على الليبين نتيجة لانتصارها.

وتلا باتوس السعيد على عرش قورينة ابنة آركسيلاوس الثاني الملقب بالطاغية. وما ان استقر الحكم لاركسيلاوس هذا حتى بدا يضطهد أأربعة من أخوته هم : بيرسيوس (Perseus) وارستودميدوس (Aristomedon) وليكوس (lyecus) وزاكنتوس (zakynthus). وراح يمعن في تجريدهم من

11- See also: Cyrenaican Expendition of the University of Manchester, 1952, Manchester Univereisty Press, England, 1956, edited by Allan Rowe with contributions by Derek Buttle & John Gray, p.2.
12- Herodotus, iv, p. 296.

حقوقهم وامتيازاتهم الدستورية. فغضبوا عليه ورحلوا عن قورينة سنة 550 ق.م هم ومن آزرهم من الإغريق الذين كان بينهم عدد لا بأس به من أمهات ليبيات. وقاموا بمساعدة قبيلة الاوزخيزي (Auschisae) الليبية بتأسيس مدينة برقة (Barce) (= المرج)[13] في سهل المرج إلى الغرب من قورينة. وبينما كانت اعمال البناء لا تزال مستمرة في برقة اقنع الإغريق فيها من حولهم من الليبين بالتخلي عن ولائهم لقورينة مما دعا اركسيلاوس الثاني إلى محاربة من فعل ذلك منهم. فلما أحس هؤلاء بزحف قوات قورينة بقيادة اركسيلاوس الثاني تراجعوا مسرعين باتجاه الغرب وخف اركسيلاوس الثاني بجيشه لمطاردتهم حتى بلغ مدينة لوكن (Leucon) الليبية حيث التحم الفريقان في معركة حامية هزم القورينيون فيها هزيمة منكرة وفقدوا سبعة آلاف من جنودهم. وبعد هذه الضربة القاسية أصيب اركسيلاوس الثاني بحمى حاول التخلص منها بتناول شيء من الدواء ولكن القدر لم يمهله اذ ان اخاه ليارخوس (Learchus) قام بخنقه سنة 544 ق.م. وانتقمت له زوجته إركسو ((Erixo)) فقتلت ليارخوس فآل عرش قورينة لباتوس الثالث الأعرج بن آركسيلاوس الثاني.

هذه الاحوال المضطربة في قورينة اتاحت الفرصة امام مدينة برقة لتبسط نفوذها على القسم الغربي من المنطقة. وحفزت أهل قورينة على ارسال وفد إلى دلفي لاستشارة موحى أبولو هناك حول انجع السبل لاقامة افضل انواع الحكم في مدينتهم. واجابتهم كاهنة دلفي بان عليهم ان يستدعوا أحد رجال مدينة منتينيا ((Mantinea)) في مقاطعة اركاديا (Arcadea) لينظم لهم شؤونهم. وعملوا بنصيحة الموحى فأعيروا خدمات المشرع ديمانكوس (Demonax) الذي كان يتمتع بشهرة ممتازة وسمعة طيبة في بلده. وقدم ديموناكس إلى قورينة فدرس أوضاعها وأحوالها ثم تقدم بالاصلاحات الدستورية التالية:

13- قال هيردوتس إن آركيسيلاوس الثاني وأنصارهم أسسوا مدينة برقة ولكن أوريك بيتس يعتقد أن برقة ليست إغريقية الأصل وإنما كانت قرية ليبية وكانت قائمة قبل مقدم الإغريق أو على الأقل، أن قبيلة الأوسخيزي الليبية التي أقيمت برقة في أراضيها قد شاركت في تأسيسها.

1- قسم قورينة إلى ثلاثة أقسام أو قبائل:

أ- المهاجرون من إغريق جزيرة ثيرا وجيرانهم.

ب- المهاجرون من إغريق شبه جزيرة البلوبونيز وكريت.

ج- المهاجرون من إغريق الجزر الاخرى.

2- خصص لباتوس. ملك المدينة. اراضي معينة ومهام كهنوتية معينة كذلك.

3- أباح لسكان المدينة عموما التمتع بالامتيازات التى كانت حتى مقدمه مقصورة على الملوك[14].

ثم انتخب من هذه القبائل الثلاث مجلس شيوخ انتقل إليه حكم المدينة من اُسرة باتوس بموافقة باتوس الثالث. وظلت هذه الاجراءات سارية المفعول طيلة حياة باتوس الثالث ولكن ضجة كبرى ثارت في المدينة حول المناصب والامتيازات الحكومية المختلفة في عهد اركسيلاوس الثالث. بن باتوس الثالث العرج من فريتيما ((Pheretima)) وخليفته في الحكم. ولما اصر اركسيلاوس الثالث هذا على تجاهل تشريعات ديموناكس وطالب بان ترد إليه امتيازات اسلافه وحقوقهم وقع نزاع بينه وبين أهل المدينة اسفر عن هزيمته وهربه إلى جزيرة سامس. وهرب أمه إلى مدينة سلاميس في قبرص حيث التجأت إلى بلاط الملك يولتن (Euelthon) الإغريقي وطلبت إليه امدادها بجيش يعيدها هي وابنها إلى عرش قورينة. وكان يولتن كريما في معاملتها فاغدق عليها الهدايا بسخاء ولكنه لم يكن ينوي اعطاءها جيشاً. وراحت هي من جانبها تمتدح كل هدية يقدمها لها وتؤكد في الوقت ذاته ان هديتها المفضلة هي ان تعطى جيشاً. فلما ألحت في هذا المطلب اهداها يولتن مغزلا من ذهب عليه بعض الصوف معلنا ان ذلك المغزل - وليس الجيش - أليق بها كامرأة.

وفي هذه الاثناء تمكن اركسيلاوس الثالث. بما بذله من وعود بانه سيقطع من يناصره ما يكفيه من الأرض في قورينة. من حشد قوة لا بأس بها من

14- Herodotus, iv, p. 297

جزيرة سامس، ابحر بها إلى قورينة وتكن من استرجاع عرشه. ولكنه ارتكب الفضائع ضد الاهلين فشرد بعضهم، ونفى بعضهم ونفى بعضهم إلى قبرص حيث اعدموا واحرق البعض الاخر، ثم تذكر ان كاهنة موحى دلفي كانت قد تنبات بموته اذا ارتكبت مثل تلك الاعمال فاستبد به الذعر وهرب من قورينة والتجا إلى حميه ألازير (Alazir) ، صاحب مدينة برقة. وبعد حين من مكوثه في مدينة برقة، وبينما كان يسير مع حميه في أحد شوارعها انقض عليهما عدد من أهل المدينة ومن كان فيها من لاجئي قورينة فقتلوهما.

وعندما كان اركيسيلاوس الثالث لاجئا في مدينة برقة كانت امه فيريتيما تقوم مقامه في قورينة فتتمتع بامتيازاته وتشرف على ادارة دفه الحكم وتحتل مقعده في مجلس قورينة. فلما سمعت بمقتله هربت إلى مصر مستعينة بأرياندس (Aryandes)، حاكم مصر الفارسي من قبل قمبيز. واستندت في طلبها المساعدة من الحاكم الفارسي على ما كان ابنها قد قدمه لقمبيز من خدمات حينما اعلن ولاء قورينة له وعين الجزية التى كان على قورينة ان تقدمها لحاكم مصر الفارسي سنوياً.

ويسرد علينا هيرودوتس حكاية هذه الواقعة كما يلي:

((أعلن اريانـدس عن حزنه العميق لما أصاب فريتيما ووضع كل قواته في مصر من مشاة وبحارة تحت تصرفها. وقبل ان يصدر امره لتلك القوات بالزحف أرسل رسولا إلى أهل مدينة برقة ليستفسر عن اسم قاتل اركيسيلاوس، ولكن أهل المدينة اجابوه بانهم جميعا يحملون مسؤولية قتله نظرا لما كان قد ألحقه بهم جميعا من اضرار. ووجد اريانـدس في هذا الرد حجة تبرر غزوة لليبيا [منطقة برقة] من أجل تحقيق مطامعه في اخضاعها، خاصة وان القبائل الليبية كانت كثيرة ولم يكن يخضع منها لداريوس، ملك الفرس الا عدد قليل بينما لم يكن معظمها يعير ذلك الملك لحظة واحدة من التفكير))[15].

أمر اريانـدس قواته بالسير في معية فيريتيما لمهاجمة برقة: فكان المشاة

15- Herodotus, iv, p. 299

تحت إمرة امازيس (Amasis) والبحارة تحت إمرة بدريس (Badres) . ولما وصلت تلك القوات إلى برقة حاصرتها وطلبت من أهلها ان يسلموا يسلموا قتلة اركيسيلاوس ولكن هؤلاء رفضوا ان يسلموا احدا. واستمر الحصار تسعة اشهر كان الفرس خلالها يحاولون احداث ثغرة في سور المدينة اما بالهجوم المباشر واما بالحفر تحته، ولكن محاولاتهم جميعا باءت بالفشل. ثم تمكن أحد عمال المعادن منهم من اكتشاف مواقع مجاري المدينة بالطريقة التالية: دار حول سور المدينة وهو يقرع على الأرض بدرقة برونزية فكانت تعطيه رنينا جامدا في كل المواقع التى دق عليها، فلما دق فوق المجاري كان لرنين درقته رجع أجوف، فدل قومه على الموقع وحفروا مدخلا يؤدي إلى داخل السور ليقتحموا منه المدينة ولكن اهلها كانو متنبهين للحركة فقاموا بحفر خنادق مضادة من الداخل وقتلوا المتسللين من الفرس، كما نجحوا في الوقت ذاته في صد الهجمات الفارسية المباشرة على السور. وطال امد الحصار وتصاعدت خسائر الجانبين فقرر امازيس، قائد المشاة، ان يغير تكتيكه الحربي بعد ان تحقق انه كان من المستحيل الاستيلاء على مدينة برقة بالقوة. ولذلك فقد لجأ للخدعة فانتظر حتى حل الظلام وامر رجاله فحفروا خندقا عريضا سقفوه بألواح خشبية ثم وضعوا عليه التراب حتى تساوي مع سطح الأرض. وفي صباح اليوم التالي دعا امازيس أهل برقة إلى مؤتمر مشترك فلبوا الدعوة بارتياح وأسفر المؤتمر عن اتفاق على الشروط التالية:

1- وقف ممثلوا الفريقين فوق الخندق المدفون واقسموا ان:

أ- يدفع اهالي برقة مبلغاً معقولاً من المال لملك الفرس،

ب- الا يلحق الفرس من جانبهم أي اذى بمدينة برقة.

2- وان تبقى تلك الاتفاقية سارية المفعول ما دامت الأرض التى كانوا يقفون عليها ثابتة.

وبمجرد ان فرغ الطرفان من عقد اليمين خرج أهالى برقة من المدينة وتركوا أبواب السور مفتوحة ودعوا الفرس لدخولها حسب ارادتهم؛ وانما فعل أهل برقة ذلك لانه لم يخطر في بالهم أن يكون الفرس قد بيتو اية خدعة. وقبل

الفرس الدعوة فدخلو المدينة مسرعين بعد ان هدموا الخندق متحللين بذلك من القسم الذي كانو قد قطعوه على انفسهم.

وبعد دخول المدينة ألقى الفرس القبض على قتلة اركيسيلاوس وسلموهم لفيريتيما وقامت هي بدورها بصلبهم على سور المدينة وعلقت إلى جانب كل منهم ثديي زوجته. اما بقية أهل المدينة، باستثناء من كانو يمتون لاسرة باتوس بقرابة ولم يتورطوا في مقتل اركيسيلاوس، فقد سلمتهم للفرس بينما سلمت مدينة برقة نفسها لمن أبقت عليهم من اقرباء باتوس. وعاد الفرس إلى مصر وهم يسوقون معهم معظم اهالى برقة عبيدا. ومن مصر سيق هؤلاء العبيد إلى بلاد فارس حيث قدموا للملك الفارسي داريوس فعين لهم قرية في مقاطعة بكتريا اسموها برقة باسم مدينتهم الاصلية وكانت لا تزال آهلة بهم وبنسلهم في أيام هيرودوتس[16].

ولما اطل الجيش الفارسي على قورينة قرر اهلها وفاء لبعض النصائح الالهية ان يتركوا مدينتهم مفتوحة والا يعترضوا مسيرة القوات الفارسية. وعندما كانت القوات الفارسية تعبر بقورينة اقترح بدريس، قائد البحرية، الاستيلاء على المدينة، ولكن امازيس، قائد المشاة، رفض ذلك الاقتراح محتجاً بان هدف الحملة كان مدينة برقة الاغريقية فقط. وبعد ان اجتاز الجيش قورينة ندم الفرس على عدم استيلائهم عليها وكرروا عائدين ولكن اهلها تصدوا لهم هذه المرة ولم يسمحوا لهم بالدخول. والغريب في الامر انه بالرغم من ان الجانبين لم يشتبكا الا ان الفرس أصيبوا بذعر شديد وتراجعوا مسرعين ولم يتوقفوا الا بعد ان ابتعدواعن المدينة مسافة سبعة اميال، وهناك اقاموا لهم معسكر مكثوا فيه بعض الوقت حتى وردتهم رسالة من ارياندس يامرهم فيها بالعودة إلى مصر، وآنذاك طلبوا من قورينة ان تمدهم بالماء والغداء فزودتهم بحاجتهم وبدأوا مسيرة العودة لمصر. وتجدر الاشارة هنا إلى ان القبائل الليبية راحت تهاجمهم على طول الطريق حتى حدود مصر، فكان افراد القبائل ينقضون على من يتأخر من الجنود ويجهزون عليهم طمعا في ملابسهم ومعداتهم[17].

16- Herodotus, iv, p. 310
17- Idem.

وكانت اقصى نقطة في ليبيا وصلتها هذه الحملة الفارسية هي مدينة يوسبيريدس (Euesperides) (= بنغازي).

اما الملكة فيريتيما فقد عادت مع القوات الفارسية لمصر حيث لقيت جزاء ما اقترفته من فظائع في انتقامها من أهل برقة كما ورد سابقا فلم تلبث ان ماتت ميتة منكرة بعد ان دبت الديدان في جسمها وظلت تنهشها حتى الموت. وكان موتها على تلك الصورة مثالا وبرهانا على ان من يفرط في القسوة انما يستنزل على نفسه غضب الآلهة.

عند هذا الحد لا يسعنا الا ان نتساءل عن مصير مدينتي قورينة وبرقة. لقد لا حظنا ان الفرس خربوا مدينة برقة في أعقاب قتل اهلها لاركيسيلاوس الثالث وحميه في أواخر سنة 516 ق.م. أو أوائل سنة 515 ق.م. ولم يبق في هذه المدينة سوى جالية قليلة ممن كانوا يمتون بصلة القربى للاسرة الملكية الحاكمة في قورينة ويؤيدونها. اما بالنسبة لقورينة فان الملكة فيريتيما لم تعد إليها بعد فتك القوات الفارسية بأهالي مدينة برقة وانما رافقت تلك القوات في عودتها إلى مصر مارة بقورينة. ولقد أخبرنا هيرودوتس ان قائد البحرية الفارسية بدريس اقترح أثناء عبور الحملة الفارسية بقورينة في طريق عودتها لمصر ان تقوم تلك الحملة بالاستيلاء على هذه المدينة، فهل كان اقتراحه ذاك بايعاز من الملكة فيريتيما؟ وبعد اجتياز الحملة لقورينة ندم قائداها على عدم استيلائهما على قورينة وحاولا ان يعيدا الكرة فتصدى لهما أهلها واغلقوا أبواب المدينة في وجه القوة الفارسية. فهل كان هذا الموقف من جانب أهل قورينة ناجما عن كرههم للفرس الذين نصبوا انفسهم حماة للنظام الملكي القوريني البغيض وحاولوا ان يفرضوه على برقة وقورينة بحد السيف؟ وهل كان ذلك الكره سببا في حمل أهل قورينة برقة على العدول مؤقتا عن النظام الملكي وعلى إقامة نوع من الحكم الديموقراطي في كل من المدينتين؟

ان النزاع بين الاسرة المالكة والشعب في قورينة بدأ منذ ان تضخم عدد سكان هذه المدينة في عهد باتوس الثاني السعيد (575 - 544 ق.م.) وبلغ ذروته في عهد باتوس الثالث الاعرج (544 - 529 ق.م) الذي قبل بإصلاحات

ديموناكس الدستورية التي ادت في واقعها إلى نقل سلطة الحكم من الاسرة المالكة إلى الشعب، وتركت للملك بعض الامتيازات والمناصب الكهنوتية فقط. وعلى ضوء هذه الحقائق القليلة والمعروفة عن هذه الفترة فأنا اميال للاعتقاد ان برقة وقورينة اجمعتا على كره النظام الملكي الموالي للفرس واقامت كل منهما نوعاً من الحكم الديمقراطي خلال الخمس عشرة سنة الباقية من القرن السادس ق.م. (515 - 500 ق.م.). فهل جربت قورينة من جديد ان تبعث الحياة في دستور ديموناكس؟ وهل حذت برقة حذوها؟

اما كيف أُعيد النظام الملكي إلى قورينة فان مصادرنا لا تسعفنا بشيء يذكر في هذا الخصوص. ولعل احسن ما يمكن ان نتكهن به هو ان نقول ان التجربة الديموقراطيةالثانية في قورينة آلت إلى الفشل مما مهد السبيل أمام باتوس الرابع ((الوسيم)) لاستعادة عرش اسلافه في قورينة مع نهاية القرن السادس قبل الميلاد. أو مطلع القرن الخامس قبل الميلاد. ونحن نكاد لا نعرف عن باتوس الرابع هذا شيئا سوى اسمه ولقبه وفوزه في الألعاب البيثية سنة 466 ق.م.

ونحن كذلك لا نعرف عن خلفه اركيسيلاوس الرابع (حوالى 465-440 ق.م) سوى انه كان منهمكا في استنفاز مزيد من المستوطنين الإغريق من مختلف أنحاء بلاد اليونان للقدوم إلى قورينة. وانه أرسل جماعة من هؤلاء المستوطنين الجدد إلى يوسبيريدس تحت قيادة أخيه كاروتاس (Carrhotas) ليجعل منها ملجأ امنا يأوي إليه ان دعت الحاجة من مثل قيام ثورة في قورينة ضده مثلاً. ولقد وقع ما كان يخشاه فقد اثار قدوم المهاجرين الجدد نقمة المهاجرين القدماء فثار هؤلاء على الحكم الملكي مما حمل اركيسيلاوس الرابع على الفرار إلى يوسبيريدس للنجاة بنفسه. ولكن المدينة الاخيرة خيبت آماله واثبتت له ان إجراءاته الاحتياطية السابقة لم تكن فعالة فقد قتل على يد أحد اتباعه سنة 440 ق.م. في المدينة التى كان يعتبرها ملجأه الأمين. وبمقتله انتهى عهد النظام الملكي في قورينة وانتهى بذلك حكم أُسرة باتوس التي تربعت على عرش قورينة ما يقرب مائتي سنة.

وقبل ان نمضي في محاولتنا لتتبع تاريخ قورينة يجدر بنا ان نلتفت إلى

الوراء قليلاً لنلقي نظرة عامة على بقية ساحل برقة وما أُقيم فيه من مستوطنات اغريقية أخرى.

منذ ان أسست قورينة اصبحت رأس جسر للاغريق فكانو يأتون إليها ثم ينطلقون منها إلى مواقع اخرى على ساحل برقة حيث يقيمون مستوطنات اغريقية جديدة. وقد تكون هنالك مستوطنات اغريقية اقامها إغريق قادمون مباشرة من بلاد اليونان الا ان الغالب هو ان يأتوا إلى قورينة أولاً ثم ينطلقون منها لاقامة المستوطنة الجديدة. ولقد سبقت الاشارة إلى مدينة برقة وكيف تم تأسيسها. والواقع ان الإغريق تابعوا اسلوبهم الاستيطاني ذاك حتى انتشرت مستوطناتهم على طول ساحل برقة فأقاموا بالاضافة لقورينة وبرقة مدن توكرة ويوسبيريدس وطلميثة وأبولونيا ودرنس وأنتيبرجوس[18] (=طبرق). وسنتحدث فيما يلي عن اهم هذه المدن بايجاز املين بذلك ان نوفق في تصوير حضارة هذه المنطقة وتاريخها.

1- قورينة (=سيرين، قرب شحات الحالية):

سبق ان بينا كيف نشأت قورينة في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد وكيف راحت تتطور في ظل نظام ملكي من الطراز الإغريقي. ونضيف هنا انه ترتب على انقراض أُسرة باتوس ونظامها الملكي أمران رئيسيان :

الأول : تقلص نفوذ المدن الاغريقية القائمة هنا وهناك على ساحل برقة وانحصارها داخل اسوارها، واستمرار كل منها في حكم نفسها بنفسها وفق نوع من الحكم الإغريقي الديمقراطي مع قيام اتحاد إغريقي ينظم العلاقات فيما بين تلك المدن ذاتها من ناحية وفيما بينها وبين غيرها من الناحية الأخرى.

والثاني : ابتعاد القبائل الليبية عن الساحل وانفرادها بتصريف شؤونها.

وأدى هذا الوضع الجديد إلى قيام نوع من التفاهم والتعاون بين الليبيين والاغريق اقتضته المصلحة الاقتصادية المشتركة فقد كانت المدن الاغريقية

18- سميت كذلك لأنها تقابل جزيرة بيرجوس اليونانية ((Anti-Pyrgos))

في حاجة لما تنتجه القبائل الليبية وما يأتي عن طريقها من داخل ليبيا وأواسط إفريقيا خاصة السودان. كما ان القبائل الليبية لم تكن تستطيع ان تستغني عن الساحل ومدنه الإغريقية وما يأتي عن طريقها من وراء البحر. وعلى مثل هذه الحالة ظلت منطقة برقة بأكملها تخضع اسميا للنفوذ الفارسي في مصر وتصرف شؤونها بذاتها عمليا خلال ما يزيد عن قرن من الزمن (440- 333 ق.م) أي ما بين انقراض اُسرة باتوس في قورينة وظهور الاسكندر الكبير. ملك مقدونيا. الذي اكتسح الامبراطورية الفارسية ودخل مصر سنة 333 ق.م. حيث قام بزيارة معبد آمون في سيوة واضفى على نفسه صبغة الألوهية باعلان انه هو ابن الإله زيوس -آمون وفي ذلك الحين قدمت له القبائل الليبية والمدن الاغريقية في منطقة برقة فروض الولاء والطاعة مشفوعة بما امكنها من هدايا. واصبحت منطقة برقة جزءا من إمبراطورية الاسكندر الكبير. وبعد وفاته قسمت إمبراطوريته بين خلفائه الثلاثة فكانت مصر من نصيب البطالمة وظلت منطقة برقة تابعة لها وخاضعة لنفوذ البطالمة الإغريق. ملوك مصر.

ونحن اذا بحثنا عن عصر ذهبي لقورينة نستطيع ان نقول ان عصرها الذهبي هو الفترة التى بدأت قبيل انتهاء الملكية أي في مطلع الخامس قبل الميلاد وانتهت مع انتهاء القرن الرابع قبل الميلاد أي بعيد بداية العصر البطلمي بقليل. ففي هذه الفترة اقامت قورينة نظام حكم ديموقراطي وتخلت عن سياسة التوسع على حساب جيرانها الليبيين وهي السياسة التى رافقت تاريخها الملكي. وفي هذه الفترة كذلك بلغت ذروة ازدهارها الاقتصادي وتقدمها التجاري والزراعي إلى حد انها استطاعت وقت المجاعة الكبرى في بلاد اليونان (329 - 325 ق.م) ان تنقذ تلك البلاد من براثن الموت جوعا عندما امدت اكثر من اربعين مدينة فيها. بينها أثينا نفسها. بما يزيد عن مليون بوشل من القمح[19].

واثرى أهل قورينة نتيجة للاستقرار النسبي والازدهار الاقتصادي فالتفتوا

19- تدل على ذلك لوحة اثرية ترجع إلى سنة 330 ق.م. انظر أيضاً:
Le Veque, Pierre, The Greek Adventure, (English Translation), Weidenfeld & Nicolson, London, W1, England, 1968, p. 341.

إلى ترقية عقولهم واجسامهم مما أدى إلى قيام نهضة فكرية في المدينة حولتها إلى مركز للتعليم والثقافة والحياة الناعمة. ففيها نشأت مدرسة فلسفية كان قد اسسها ارستبوس (Aristeppus). تلميذ سقراط وأستاذ أبي قورش. صاحب الفلسفة الابيقورية. وبعد وفاة سقراط سافر ارستبوس الظريف إلى مدن مختلفة. وقضىّ بعض الوقت في مدينة اسكليوس (Scillus) بصحبة صديقه اجزينيفون (Xenephon) . ووقتا اطول من هذا في مدينة كورنث بصحبة صديقه لايس (Lais). ثم القى عصا الترحال في مسقط رأسه في قورينة. وكان ثراء الطبقة العليا في هذه المدينة نصف الشرقية قد تكون عادات ارستبوس. ولذلك فقد كان اكثر ما يتفق فيه مع مبادىء أستاذه هو قوله ان السعادة اعظم فضيلة. وكان ارستبوس وسيم الطلعة. دمث الاخلاق. بارعا في الحديث مما ساعده على ان يشق طريقه اينما كان: من هذا القبيل انه عندما تحطمت السفينة التى كان بها قرب جزيرة رودس ووجد نفسه في ضائقة شديدة على تلك الجزيرة ذهب إلى مدرسة للتدريب الرياضي هناك واخد يخطب فيها. فافتتن به رجالها وقدموا له ولأصحابه جميع وسائل الراحة. وعندما فعلوا ذلك قال لهم : ان الاباء يجب ان يسلحوا ابنائهم بثروة يستطيعون ان يحملوها معهم إلى البر اذا تحطمت بهم السفن.

وكانت فلسفته بسيطة وصريحة؛ فقد كان يقول: ان كل ما نفعله انما نفعله طمعا في اللذة أو خوفا من الالم حتى اذا افقرنا انفسنا لخير اصدقائنا أو ضحينا بحياتنا من أجل قادتنا. وعلى هذا الاساس فالناس كلهم مجمعون على ان اللذة هي الخير الذي ما بعده خير. وان كل ما عداها. حتى الفضيلة والفلسفة. يجب ان يحكم عليه حسب قدرته على توفير اللذة. وعلمنا بالاشياء. غير مؤكد. وكل ما نعرفه معرفة مباشرة اكيدة هي حواسنا. فالحكمة اذن لا تكون في السعي وراء الحقيقة المجردة بل في اللذات الحسية. وليست اعظم اللذات الجسمية أو الحسية؛ ولهذا فان الرجل العاقل هو الذي يسعى وراءها اكثر من أي سعيه وراء أي شيء اخر. والذي لا يضحي بخير عاجل في سبيل خير آجل غير مؤكد. والحاضر وحده هو الموجود. واكبر

الظن انه لايقل من حيث الخير عن المستقبل ان لم يتفوق عليه. وفن الحياة هو انتهاب اللذائذ وهي عابرة والاستمتاع بكل ما نستطيع الحصول عليه في الساعة التي نحن فيها. وليست فائدة الفلسفة في انها قد تبعدنا عن اللذة، بل فائدتها في أنها تهدينا إلى ان نختار: أحسن اللذات وننتفع بها. وليس صاحب السلطان على اللذات هو الزاهد المتقشف الممتنع عنها، بل هو الذي يستمتع بها دون ان يكون عبدا لها، والذي يستطيع بعقله ان يقارن بين اللذائذ التي تعرضه للخطر والتي لا تعرضه له.

وإذن فقد كان محور فلسفة ارستبوس هو دعوة الناس إلى ثقة بمشاعرهم وأحاسيسهم مع ضبطها بالحكمة القائلة: ان الانسان السعيد حقاً هو الذي تعلم الحقيقة وانتصر على مشاعره فأصبح سيدا للمتعة وليس عبدا لها. ويقول ارستبوس نفسه في تلخيص فلسفته هذه:

((ان الحكمة ليست في السعي وراء الكمالات الخيالية، التي ليس لها وجود إلا في رؤوس الفلاسفة، كما ان الحكمة لا تكون بالجري وراء الشهوات واللذات الحسية التى تورث صاحبها المرض والندم ووخز الضمير، ولكن الحكمة في ان نحيا حياة معتدلة فلا نشغل أفكارنا بالجري وراء حلم خادع من المثل العليا الزائفة أو في الجري وراء لذات حسية تعرضنا للخطر، اذ اننا نكون في الأولى سذجاً مخدوعين، بينما نصير في الثانية أسرى لهذه اللذات أو عبيدا لها. والرجل الحكيم هو الذي يظهر الاحترام المقرون بالحكمة والدهاء تجاه الرأي العام والشرائع والعادات ولكنه يعمل بقدر المستطاع على الا يكون سيدا لاي إنسان أو عبدا له))

وفي مجال الادب نبغ في قورينة عدد من فحول الشعراء كان من اوائلهم أجاممنون (Ajamemnon) في القرن السادس قبل الميلاد، وكليماخوس(310 – 240 ق.م.) والجغرافي العظيم ((اراتستنيس)) في القرن الثالث قبل الميلاد.

وإلى جانب الفلسفة ولادب ازدهرت في قورينة فنون الرقص والموسيقى، وزاد عدد سكانها حتى تجاوز المئة الف نسمة، وترقت فيها الالعاب الرياضية

حتى ان فريقها فاز بالمرتبة الأولى في سباق العربات سنة 462 ق.م. وفاز في دورة الالعاب الاولمبية التى عقدت بعد هذا التاريخ بسنتين.

أما في المجال الاقتصادي المزدهر فقد كانت قورينة وميناؤها ابولونيا (=سوسة) همزة الوصل بين الدواخل الليبية واواسط افريقيا من ناحية وعالم ما وراء البحر من الناحية الثانية ؛ فكانت تصدر إلى جانب القمح والخيول الاصلية ونبات السلفيوم (Silphium) البري الذي تظهر صورته على النقود القورينية خلال عدة قرون والذي كانت اُسرة باتوس المالكة تحتكر التجارة به نظرا لاهميته كعلف مسمن للمواشي من ناحية وكعقار مطهر وتابل لذيذ من الناحية الاخرى. ويبدو أن هذا النبات قد انقرض في أواخر العهد الروماني نظرا لانتشار رقعة الأراضي المزروعة ولعد م رغبة الليبيين في الابقاء على نبات بري لا يستفيد منه غير الطبقة الحاكمة البغيضة. وإلى جانب هذه السلع كانت تروج سلع أخرى أهمها العبيد والذهب والعاج والتمور والخمور وزيت الزيتون والذرة والاغنام والمواشي وريش النعام.

هذا بالنسبة للتجارة، أما الزراعة فلا شك أن سكان المناطق الخصبة من الأراضي الليبية قد تحولوا إلى مزارعين في وقت مبكر من التاريخ الليبي. ولندع هيرودوتس يحدثنا عن هذا الموضوع. يقول هيرودتس:

((لا أظن أننا نستطيع أن نقارن من حيث خصوبة التربة بين ليبيا وكل من اسيا وأوروبا باستثناء منطقة واحدة تسمى منطقة واحدة تسمى منطقة الكنبس [وادي كعام] وقد سميت كذلك نسبة للنهر الذي ترتوي منه. ولكن هذه المنطقة على أي حال تختلف كثيرا عن بقية ليبيا ولا تقل جودة عن أي بلد في العالم بالنسبة لانتاج الحبوب؛ فالتربة هنا، بعكس ما هي عليه الحال في أي مكان اخر، سوداء وترويها الينابيع فهي لا يخشى عليها من الجفاف من ناحية ولا من التلف بسبب الفيضانات من الناحية الاخرى (ويذكر بهذا الصدد ان المطر يسقط في هذه المنطقة من ليبيا). ويعادل انتاج المحاصيل في هذه المنطقة انتاج نظيرتها في بابل. وهنالك تربة جيدة أيضا حول يوسبيريدس، فهي في المواسم الممتازة تعطي من الغلة مائة ضعف ما بذر فيها، ومع ذلك فان منطقة الكنبس تعطي ثلاثة أضعاف

معدل انتاج منطقة يوسبيريدس. أما أراضي قورينة الواقعة في أعلى قسم من المنطقة الليبية التي يقطنها البدو الرحل فتنفرد بميزة خاصة بها تتلخص في أنها تتمتع بثلاثة مواسم غلة في في السنة الوحدة: ويتمثل الموسم الأول في الأراضي القريبة من الشاطيء؛ فمحاصيلها تنضج مبكرة. وما ان يفرغ أهلها من جنيها حتى محاصيل التلال - المنطقة المتوسطة الواقعة فوق الحزام الساحلي - صالحة للجني. وعندما يفرغون الأهلون من جني هذا المحصول الثاني تكون محاصيل القسم الجبلي المرتفع قد نضجت وصارت صالحة للقطاف. وهكذا فانه في الوقت الذي يكون الاهلون قد اكلوا أو شربوا محصولات الموسم الاول يجدون ان محصولات الموسم الاول يجدون ان محصولات الموسم الاخير قد بدأت. مما يعطي أهل قورينة السعداء فصل خريف مستمر لمدة ثمانية أشهر متتالية))[20].

ومن الواضح من اقوال هيرودوتس ان أهل قورينة كانو يكثرون من زراعة الحبوب خاصة القمح والشعير ثم زراعة أشجار الفواكه وخاصة شجيرة العنب وأشجار النخيل، وهما صنفان كانوا يصنعون مشروباتهم من ثمارهما. وبالاضافة لذلك فقد اشتهرت برقة بالذرة وزيت الزيتون والتفاح والعصفر وروح الزهر وتربية الاغنام والمواشي والخيول السريعة بانتاج الأصواف ونبات السلفيوم (الأنجدان) الذي كان علفا ممتازا للحيوانات وكانت عصارته عقارا مفيدا في علاج الأمراض البشرية والحيوانية والنباتية، وكان اذا اضيف القليل منه للطعام، وخاصة إلى أطباق السمك، اضفى عليه نكهة خاصة مشهية. ولكن هذه الثروة الزراعية المزدهرة التى كانت بحق عماد ثروة قورينة كثيرا ما كانت تتعرض لغزو الجراد؛ وفي مثل تلك الحال كان على جميع السكان أن يخرجوا للاسهام في مكافحته والقضاء عليه. والذين يتهربون منهم من ذلك الواجب كانوا يتلقون نفس العقاب الذي كان يتلقاه الفارون من الخدمة العسكرية[21].

ومع نهاية القرن السادس قبل الميلاد كانت مدن برقة قد اصبحت مراكز

20- انظر الملحق «ب» ص 687 – 788 أو آخر الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتس.
21- Wright, John, Libya, The Nations of the Modern World series. London, Ernest Benn Limited, 1st Edition, 1969, p. 43.

تجارية هامة وان لم تبلغ مبلغ قرطاجة؛ فقد كانت قورينة تتاجر مع المدن الاغريقية في جزر البحر الابيض المتوسط وساحله الشمالي. وكانت تجارتها في الوقت ذاته تسير نشيطة مع افريقيا الوسطى عن طريق واحة أوجلة (الواقعة على بعد مائة وخمسين ميلا إلى الجنوب من اجدابيا) ومنها إلى الجنوب الغربي عبر الصحراء إلى مرزق أو إلى الجنوب الشرقي إلى واحة سيوة. ونتيجة لهذا الاقتصاد المزدهر في مجالي الزراعة والتجارة صارت قورينة في مطلع القرن الخامس قبل الميلاد تعتبر احدى العواصم المهمة في العالم الإغريقي.

نظام الحكم الإغريقي في قورينة في العصر الملكي:

لقد ألمحنا سابقاً بالشكل العام لنظام الحكم الملكي الوراثي الذي كان سائدا في قورينة خلال أول قرنين من حياتها. وبالرغم من قلة مصادرنا عن العصر الملكي في قورينة فانه لا بد لنا ان نتذكر حقيقة اساسية عامة تكاد تصدق على المجتمعات البشرية في كل مكان وزمان الا وهي ان الانسان حريص دائماً على ان ينقل معه تراثه وعاداته وتقاليده. ان هذا القول يصدق إلى حد كبير على حركة التوسع الاغريقية؛ فالمعروف بشكل عام ان المستوطنة الاغريقية خارج بلاد اليونان كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالمدينة الام وتتأثر بها تؤثر فيها إلى حد كبير. ولما كانت قورينة مستوطنة دورية فلا نعتقد اننا نجافي الحقيقة اذا افترضنا ان تنظيمها السياسي كان إلى حد كبير صورة عن التنظيم السياسي في البلد الأم وهي جزيرة ثيرا الدورية؛ وقوام ذلك التنظيم هو ان يوزع المواطنون في المدينة إلى ثلاث قبائل. ولقد سبق ان علمنا من هيرودوتس ان المهاجرين الأول من ثيرا كانوا يمثلون الاقسام السبعة لسكانها؛ واذن فلا بد انهم نظموا انفسهم على شكل قبائل ثلاث تضم الاقسام السبعة- على غرار التنظيم الذي كان سائدا في ثيرا- منذ ان استقرو في قورينة بزعامة ملكهم باتوس. ومما يؤيد هذا الرأي ان المشرع ديموناكس قسم مواطني قورينة إلى ثلاثة قبائل عندما استدعى لاصلاح دستورها في عهد باتوس الثالث الاعرج. ولعل ديموناكس انما كان يضفي الصبغة الشرعية على وضع كان قائماً. ومنذ نشوء قورينة قسمت اراضيها بين القبائل الثلاث

فتكونت بذلك أول طبقة من الارستوقراطيين المؤسسين، ملاكي الأراضي. ولكن لما كان عدد هذه الطبقة قليلاً[22] فان قورينة سارت بين الحين والحين الاخر على سياسة توزيع هبات من الأراضي لمن يرغب في الهجرة إليها من الإغريق، وذلك لكي تدعم مركزها وتقوي وجودها في منطقة ساحل برقة. وخير مثال عل هذا هو ما ذكره هيرودوتس من تحريض موحي دلفي للاغريق على الهجرة إلى قورينة في مطلع عهد باتوس ((السعيد))[23] وهنالك مثال اخر ما فعله اركيسيلاوس الثالث الذي اقطع الأراضي في قورينة لكل من التفّ حوله من الإغريق وآزره في استرجاع عرشه[24]. ولما كنا نعرف ان ملكية الأرض هي الاساس الذي ارتكزت إليه الارستوقراطية الأولى في قورينة فإنا نعتقد ان كل مهاجر اغريقي جديد قدم لقورينة بعد ان حصل سلفا على ملكية للارض فيها كان ينضم لاحدى قبائلها الثلاث ويساهم بذلك في تقوية ارستوقراطيتها الأولى وتوسيعها. وبهذا فنحن نعارض ما ذهب إليه البعض من قصر الطبقة الارستوقراطية على الملاكين الأول ونسلهم، وتقرير ان كل المهاجرين الذين قدموا لقورينة بعد قيامها وجدوا انفسهم في وضع التابع بالنسبة لطبقة المستوطنين الأوائل[25]. ولما كان لا بد من وجود الأتباع فالتفسير المعقول هو ان نقول ان المهاجرين الجدد الذين اجبرتهم ظروفهم الجديدة في قورينة على ان يكونوا اتباعا للارستوقراطيين الأوائل هم اولئك الإغريق الذين قدموا إلى قورينة دون ان يؤمنوا لانفسهم ملكية مسبقة، وهم ايضا صغار الملاكين الذين رأو بالتجربة أنهم لا يستطيعون البقاء دون الالتجاء إلى غيرهم من كبار الملاكين، وهم ايضا العمال الفنيون والصناعيون ان صح التعبير. ويضاف إلى هؤلاء جميعا بعض الليبيين الذين تأغرقوا وربما ايضا بعض الإغريق ممن كانوا من أمهات ليبية.

عند هذا الحد تتبلور في ذهننا صورة واضحة لمجتمع قورينة، فهو مجتمع

22- أنظر ص 239 أعلاه حيث يذكر هيرودوتس أن عدد المهاجرين المؤسسين كان عبارة عن حمولة سفينتين من ذوات الخمسين مجدافاً أي مائتي مهاجر

23- أنظر ص 244 أعلاه.

24- أنظر ص 247 أعلاه.

25- أنظر عبد العليم، مصطفى كمال، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966، ص 125 – 128.

طبقي هرمي تنقصه الطبقة المتوسطة بينما تتكون قاعدته من الأتباع وتتربع قرب قمته طبقة ارستوقراطية من الملاكين ويقوم فوق الجميع ملك مطلق جمع في يديه مقاليد السلطات الدينية والعسكرية والمدنية.

وازاء النقص في مصادر هذا العصر لا بد لنا لن ان نلجأ ثانية إلى القياس على ما كان يجري في المدن الاغريقية في بلاد اليونان ذاتها. ولابد انه كان لقورينة منذ مرحلة مبكرة في تاريخها مجلس شيوخ Gerousia، وهي كمستوطنة دورية لا بد ايضا انها كانت بها هيئة الإيفور الخمسة Ephors [26] الذين ربما كان الملك يعينهم ويعهد إليهم ببعض سلطاته القضائية. ونلاحظ انه بالاضافة إلى هذين المجلسين كان يوسبيريدس مجلس ثالث هو مجلس الشورى Boule . ولما كان من المرجح أن الذين اقاموا مستوطنة يوسبيريدس هم إغريق من قورينة فان وجود مجلس شورى في يوسبيريدس يشجع الافتراض ان قورينة كان لها مثل ذلك المجلس.

واذا سلمنا بوجود هذه المجالس من وقت مبكر في تاريخ قورينة فانا لا بد ان نستنتج ان النزاع الذي كان يقع داخل اُسرة باتوس المالكة كالذي حصل بين اركيسيلاوس الثاني واخوته انما هو نزاع بين الملكية والارستوقراطية. وإذن فان اصلاحات ديموناكس الدستورية التي نقلت الحكم من الملك إلى الشعب كانت في الواقع انتصارا للاقلية الارستوقراطية على الملكية وليس ثورة ديموقراطية في دستور المدينة. ويذكر بهذا الصدد ان التطور نحو الديموقراطية في بلاد الإغريق الأم سار على نمط مشابه فانتقلت السلطات من يد الملك إلى يد طبقة النبلاء أو إلى يد طاغية تولى مقاليد الامور عن طريق غير شرعية ثم انتقلت بعد ذلك للشعب فصار يحكم نفسه بنفسه وهو ما نعنيه بالحكم الديموقراطي. لابد ان قورينة أقامت نوعاً من الديموقراطية فيها في الفترة التي انقضت بين نهاية اُسرة باتوس الحاكمة سنة 440 ق.م ودخول برقة في حوزة البطالمة بعد سنة 322 ق.م.

26- تشير مصادر العصر البطلمي إلى وجود هذين المجلسين في قورينة في عصر البطالمة. وربما كان الأول منهما هو الذي قصده هيرودوتس عندما ذكر أن الملكة فيريتيما كانت تأخذ مقعدها في مجلس قورينا نيابة عن آركيسيلاوس الثالث الذي كان لاجئاً في برقة. انظر أيضاً ص 247 أعلاه.

2- أبولونيا (=سوسة)

بعد تأسيس قورينة بقليل بدأ أهلها بتأسيس ميناء لمدينتهم في مكان مناسب وقريب فوقع اختيارهم على المكان الذي لا تزال آثاره قائمة إلى الان وسموا المستوطنة الجديدة أبولونيا تعتمد كلية على قورينة حتى العهد البطلمي عندما بدأت أهميتها كميناء تنمو وتزداد خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وطيلة العصر الذي كانت تعتمد فيه على قورينة كان ينظر إليها باعتبارها ميناء قورينة وكأنها جزء من قورينة وليس مستوطنة مستقلة. وعلى ذلك الاساس فان الحياة فيها كانت خاضعة لما تمليه قورينة. اما النشاطات التى كانت تجرى في هذا الميناء فكانت تصدير واستيراد ما تقرر قورينة تصديره واستيراده بالاضافة إلى تقديم الخدمات للمسافرين من قورينة والقادمين إليها. ومن المؤسف أن البحر ابتلع ما يزيد عن ثلث هذه المدينة فجعل من الصعب تحديد الميناء الإغريقي وارصفته وان كان من المحتمل انه اقيم إلى الشرق من النتوء الصخري البارز في البحر وانه كان يضم بركة كليوبترة.

3- برقة (= المرج) Berca, Barka:

لقد مر بنا كيف قامت جماعة من إغريق قورينة بتأسيس هذه المدينة بمساعدة قبيلة الأوسخيزي الليبية سنة 550 ق.م. وفيما عدا ذلك فنحن لا نعرف عن هذه المدينة سوى انها كانت دون شك تستغل السهل الخصيب المحيط بها بالزراعة وبتربية الخيول البرقية المشهورة بأصالتها وسرعتها وباحرازها قصب السبق في المباريات اليونانية كما حدث في عهد الملك باتوس الرابع عندما فازت قورينة فوزا باهرا في الالعاب البيثية سنة 366 وفي سباق العربات سنة 462 ق.م. بفضل الخيل البرقية. وقد حمل فوز قورينة في الألعاب البيثية الشاعر الإغريقي الكبير بندار على تخليد هذه المناسبة في قصيدتين رائعتين من قصائده.

4- طلميثة

تقع طلميثة على الساحل مقابل مدينة برقة من الشمال وقد

استخدمت كميناء لمدينة برقة. وكانت هذه المستوطنة في الأصل تقوم محل المدينة الحالية إلى جانب المرفأ. ويدل ما اكتشف من آثارها على أنها كانت قد خططت بعناية ولكن الآثار التى تم كشفها فيها حتى الآن ترجع إلى عصور لاحقة وسنعرض لها في حينه. وتدل أقدم الخزفيات التى اكتشفت في طلميثة وابولونيا على ان هاتين المدينتين أسستا بعد تأسيس قورينة سنة 631 ق.م بقليل. وعلى هذا الأساس فان طلميثة لا يمكن ان يكون أسسها أناس من برقة كميناء للمدينة الاخيرة لان طلميثة اقدم من برقة وان كانت صارت تؤدي غرض الميناء بالنسبة لبرقة وتسمى ((ميناء برقة))

5- توكرة:

نستدل من اقوال بندار على ان المهاجرين من قورينة هم الذين قاموا بتأسيس توكرة وأبولونيا. وقد أيد هذا القول ما اكتشف من حفريات يرجع تاريخها إلى ما بعد تأسيس قورينة سنة 631 ق.م. وكان المتعارف عليه عامة ان توكرة أسسها قادمون من برقة ولكن الاخيرة لم تؤسس الا في وقت متأخر في عهد اركيسيلاوس الثاني. وعلى ذلك فليس هنالك مايبرر ماذهب إليه البعض من ان توكرة كانت تشاطر برقة كراهيتها لقورينة في القرن الذي تلا تأسيس برقة، وانها لذلك تأثرت بالغزوة الفارسية لبرقة سنة 515 ق.م. وان كان الفرس قد مروا بها لا محالة أثناء تلك الغزوة وهم في طريقهم إلى يوسبيردس. وليس هنالك في الآداب الكلاسيكية ولا في الحفريات التى اجريت حتى الان ما يدل على أصل السكان الذين استوطنوا توكره ولكن يكاد يكون من المؤكد انهم قدموا من قورينة وان كان هنالك احتمال انهم كانوا اغريقا جاؤوا مباشرة إلى توكرة من بلاد اليونان دون المرور في أبولونيا مينا قورينة. ويقول اصطفانوس (Sephanus) ان هذه المستوطنة سميت باسم تويكيرا (Tcheria) ابنة اوتاندروس (Autandros). وهما اسمان لا يذكرهما أي كاتب آخر.

6- يوسيبيريدس(= بنغازي)

يؤكد جودتشايلد ان مستوطنين من قورينة أو برقة قاموا قبل سنة

515 ق.م بتأسيس مستوطنة يوسبيريدس الأولى على الطرف الشمالى من سبخة السلماني الحالية حيث توجد الان مقبرة سيدي عبيد الفيتوري[27]. أما لماذا اختاروا ذلك الموقع على طرف السبخة فتعليله ان السبخة كانت آنذاك عبارة عن بحيرة ضحلة متصلة بالبحر وصالحة لملاحة القوارب والسفن الصغيرة التى كانت دون شك تصلها بالميناء القديم الذي ربما كان يقع إلى الغرب قليلا من المنارة الحالية.

واقدم اشارة ليوسبيريدس هي تلك التي أوردها هيرودوتس في حديثه عن الحملة الفارسية على مدينة برقة سنة 515 ق.م[28]. واذن فلا بد ان هذه المدينة كانت قائمة قبل ذلك التاريخ. واقدم عمله وجدت لها حتى الان ترجع لسنة 380 ق.م ويظهر على أحد وجهيها نبات السلفيوم بينما تظهر سمكة دلفين على الوجه الاخر[29].

ولابد ان يوسبيريدس كانت معرضة اكثر من غيرها لغارات القبائل الليبية المقيمة حول خليج سرت الكبير لانه كان من السهل على تلك القبائل ان تتقدم عبر السهول إلى يوسبيريدس. ولعل البحيرة هي التى كانت توفر بعض الحماية لهذه المستوطنة. من هذا القبيل ما نسمعه من ثوسيديس (Thuecydidies) عن قبائل ليبية تضرب حصارا على يوسبيريدس سنة 414 ق.م. فلا يرفعه عنها الا وصول أسطول اغريقي كان في طريقه إلى سيراقوسة بقيادة رجل اسمه جيليبوس (Gylippus) فساقته الرياح إلى يوسبيرديس. إننا لا نشك في ان هذا الوضع القلق دعا إلى استقدام جماعة جديدة من المستوطنين الإغريق ولكنهم لم يمكثوا الا قليلا ثم عادوا إلى مدينتهم مسينا سنة 369 ق.م. واخر مرة ظهرت فيها يوسبيريدس على المسرح السياسي كانت سنة 322 ق.م. عندما ضلعت مع برقة في تأييد مغامر اسمه ثبرون (Thibron) كان يطمع في اقتطاع جزء من برقة يقيم فيه ملكا لنفسه. ولكن قورينة وحلفاءها من الليبيين تصدوا لذلك المغامر وتمكن أحد الليبيين من اُسره في النهاية حيث قام أهل توكره بشنقه. ولا

27- أحد أبناء زليطن ورئيس نظام العروسية في برقة.
28- أنظر الصحفة 250 أعلاه.
29- ربما كانت صورة الدلفين رمزاً لبوزايدن إله البحر.

شك ان يوسبيريدس قاست نتيجة تورطها في ذلك النزاع وضلوعها مع الطرف الخاسر.

أما ما نعرفه عن التنظيم السياسي لهذه المدينة فهو قليل وينحصر في نقش مهم عثر عليه في موقع يوسبيريدس ويرجع تاريخه إلى سنة 350 ق. م. وهو يبين أن هذه المستوطنة كان لها مجلس قضاة (Ephors) ومجلس شيوخ (Gerousia) وفي النقش يقترح الشيوخ على مجلس الشورى (Boule) تكريم اثنين من أبناء مدينة سيراقوسة لقاء خدمات معينة كانا قدماها ليوسبيريدس. ولعل وجود هذه المجالس دليل على أن التنظيم السياسي ليوسبيريدس. وربما لمعظم المستوطنات الإغريقية في برقة، إن لم نقل كلها، كان بصفة عامة مشابهاً للتنظيم السياسي في قورينة.

وبالنسبة لاسم هذه المستوطنة فقد قطع جودتشايلد بأن يوسبيريدس (Euesperides) هو أصح وأقدم اسم لها[30]. وقد البس هذا الاسم أكثر من ثوب من ثياب الأساطير الإغريقية القديمة نظراً للشبه بينه وبين الأسماء الواردة في أساطير هي أقدم من المدينة ذاتها، فقد ذهب عدد من الكتاب القدامى إلى أنها سميت هسبيريدس (Hesperides) نسبة للأخوات الأسطوريات الأربع[31]، بنات هسبيروس، اللواتي كن يحرسن البستان المسمى باسمهن والذي كانت الإلهة هيرا «Hera» قد تلقته كهدية بمناسبة زواجها من الإله زيوس (Zeus). وتقول الأسطورة إن هذا البستان كان مليئاً بشجر التفاح الذي يثمر الذهب ولذلك فقد وكل الأخوات الأربع بحراسته نظراً لما كن يتحلين به من قدرة عجيبة على الغناء الساحر. ووضع الأفعوان المخيف لادُن (Ladon) تحت تصرفهن لكي يساعدهن في حراسة البستان. وإمعاناً في هذا الاتجاه فإنهم تعرفوا على بحيرة تريتونس (Tritonis Lacus)[32] وقالوا

30- Goodchild, R.G., Benghazi, The Story of a City, Department of Antiquities, Cyrene (Shahat), Cyrenaica, Libya, 2nd edition, Lamin Hasni s Press, 1962.
31- Their names were: Aegle, Erythcia, Hestia and Arethusa
32- After Triton, Son of Poseidon, God of the Sea.

إنها هي البحيرة الواقعة إلى الجنوب من المدينة القديمة. كما تعرفوا على البستان نفسه في أحد المنخفضات في موقع سواني بن عصمان على بعد حوالي عشرة كيلومترات إلى الشرق من بنغازي وإلى الشمال من الطريق إلى مطار بنينا. وقريبا من موقع البستان وجدوا كهفاً به بحيرة جوفية فاعتبروه نهر ليث. الذي هو نهر النسيان في العالم السفلي في الأساطير الإغريقية. وكان إلى الشمال الغربي من المدينة نهر سماه الفينيقيون نهر لاثن وهي تسمية تلفت النظر لما فيها من توافق عجيب مع التسمية الإغريقية للأفعوان لادن الذي سبق ذكره.

ويعارض سي. جي. سي هايسلوب (C.G.C. Hyslop) في كتابه (Cyrene and Ancient Gyrenaica) الصادر في طرابلس شنة 1945 م. هذه الآراء ويقول إن المؤسسين الإغريق أسموا المدينة يوهسبيريدس ومعناها بالإغريقية «مدينة الغرب السعيدة» نظراً لخصوبة الأرض التي كانت تجاورها من الغرب. وإن تسميتها هسبيريدس ناجّة عن التباس هذه التسمية على الكتّاب القدامى تحت تأثير ما يعرفونه من الأساطير الإغريقية.

وبالإضافة إلى هذه المستوطنات المشهورة فلا شك أنه كانت هنالك مواقع أُخرى كثيرة على ساحل برقة لا يمكن أن يكون قد فات الإغريق أن يستفيدوا منها ويستغلوها من مثل درنة (Dernis) وطبرق (Antipyrgos) وبما وعين غزالة والبردية. ولكن الحفريات لم تنشط في هذه المواقع لتوقفنا على أحوالها الماضية.

جمهوريات برقة في ظلال الفرس والبطالمة

(440 – 96 ق. م.)

استولى الفرس على مصر سنة 525 ق. م. ولم يلبثوا حتى بسطوا نفوذهم على برقة خاصة القسم الساحلي منها أي المنطقة الإغريقية[33]. ويبدو أن الفرس لم يركزوا قوات فارسية في برقة بل اكتفوا بإرسال الحملات العسكرية كلما دعت الضرورة. وقنعوا من هذه المنطقة بأن تعلم خضوعها لهم وتدفع لهم الجزية. وتركوا لها مهمة تصريف شؤونها كما تشاء. وقد سبق أن لمحنا في الحديث عن قورينة أن آركيسيلاوس الرابع (حوال 465 – 440 ق. م.) كان قد أعلن تبعية قورينة. وهي أهم مدينة إغريقية في برقة. لحاكم مصر الفارسي وحدد الجزية السنوية التي صارت تلك المدينة تدفعها للفرس. ولابد أن بعض القبائل الليبية في برقة. وخاصة القريبة منها من الساحل. قد خضعت للفرس كذلك[34]. ومما يؤيد هذا القول أننا نسمع عن وجود فرقة ليبية في جيش الملك الفارسي كزركسيس عند زحفه على بلاد اليونان. وتجدر الإشارة هنا إلى أننا لا نسمع شيئاً عن موقف المدن الإغريقية في برقة من الحرب بين الإغريق والفرس طيلة النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد. ولعل الذي حدث هو أن تلك المدن كانت خاضعة للحكم الذي أقامه الفرس في مصر مما حال بينها وبين مد يد المساعدة لبلاد الإغريق. هذه ناحية أمّا الناحية الأخرى فتتلخص في بُعدِ تلك المدن عن بلاد اليونان وعدم التزامها بالارتباط بها مائة بالمائة.

وبعد أن انقرضت أُسرة باتوس حوالي سنة 440 ق. م. سادت منطقة برقة حالة من الفوضى وعدم الاستقرار ممّا شجع بعض القبائل الليبية على مهاجمة المدن الإغريقية كما حدث لمدينة يوسبيريدس سنة 414 ق. م.[35].

33- كان باتوس الرابع. ملك قورينة. قد اعترف بالتبعية للملك الفارسي قمبيز بعيد إستيلاء الأخير على مصر سنة 525 ق. م.

34- انظر ص 248 أعلاه.

35- انظر ص 265 أعلاه.

وفي الوقت ذاته كانت المدن الإغريقية ترزح تحت وطأة صراع داخلي احتدم بين الطبقة الأرستوقراطية، التي نصبت نفسها في مراكز القوة والحكم بعد زوال الملكية، وبين البقية الباقية من سكان تلك المدن. واستمرت برقة تقاسي من الفوضى والصراع الداخلي إلى أن حل عهد الاسكندر الكبير الذي اكتسح الإمبراطورية الفارسية ودخل مصر سنة 333 ق.م. فبادرت المدن الإغريقية في برقة وفي مقدمتها قورينة بإعلان تبعيتها له لدى سماعها عن بلوغه باريتونيوم «Paraetonium» (= مرسى مطروح). وقد أعربت قورينة بالذات عن ولائها له وترحيبها به بتقديم هدايا كان من جملتها ثلاثمائة جواد وخمس عربات حربية من ذوات الخيول الأربعة. وعندما زار الاسكندر الكبير معبد آمون في سيوة بادر عدد من القبائل الليبية بتقديم ولائهم له. والمعروف أن الاسكندر الكبير «عين – قبل مغادرته مصر إلى الشرق – أبولونيوس بن خارينوس (Apollonioos Charinos) حاكماً على ليبيا [منطقة برقة][36]. وإثر وفاة الاسكندر الكبير سنة 323 ق. م. تقاسم خلفاؤه الثلاثة إمبراطوريته فيما بينهم فوقعت مصر من نصيب حاكمها بطليموس بن لاجوس الذي صار فيما بعد الملك بطليموس الأول الملقب سوتر (Soter) أي المنقذ. وفي أواخر سنة 323 ق. م. اندلعت ثورة في قورينة وانتشر لهبها إلى بقية المدن الخمس التي كانت كغيرها من الجمهوريات الإغريقية فريسة للتطاحن الحزبي فاغتنم المغامر الاسبارطي ثبرون (Thibron) والمغامر الكريتي مناسكليس (Manasicles) تلك الفرصة فتزعم كل منهما فريقاً من الثوار. وتمكن ثبرون من دخول قورينة إلا أن الحزب الديموقراطي فيها لم يلبث أن استولى على السلطة وطرد ثبرون كما طرد عدداً من أغنياء المدينة الأرستوقراطيين. ولكن ثبرون عاد فحاصر قورينة بينما التف حوله عدد من الأثرياء المطرودين ولجأ عدد آخر منهم إلى مصر يستنجدون ببطليموس الأول. واغتنم بطليموس تلك الفرصة فأرسل رفيقه أوفلاّس الأولنثي على رأس قوة برية وبحرية لوضع حد للصراع في المنطقة. واتحد المغامران لمجابهة أوفلاّس ولكنه هزمهما وأسر ثيرون وصلبه.

36- نصحي، إبراهيم، تاريخ مصر في عصر البطالمة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة (ثلاثة أجزاء)، القاهرة، 1966، ج1، ص 32.

وبمناسبة هذا الانتصار قدم بطليموس نفسه إلى منطقة برقة ونصب أوفلاّس حاكماً عليها. ولكن مدنها ظلت تحتفظ بنظمها الجمهورية في ظل العهد البطلمي الذي كانت منطقة برقة خلاله ملكاً للبطالمة باستثناء فترة استقلالها الوجيزة من 283 – 273 ق.م. ولم يكن من السهل على أوفلاّس أن يخضع منطقة برقة فقد ثارت عليه سنة 313 ق.م. وكادت تطيح به لولا أن بطليموس الأول سارع بإرسال حملة أخمدت الثورة وأعادت أوفلاّس لكرسي الحكم من جديد. وفي سنة 311 ق.م. استقل أوفلاّس ببرقة بتشجيع من أنتجونس، قائد عام قوات آسيا الذي كانت علاقاته مع بطليموس الأول قد ساءت. وتحالف أوفلاّس مع أجاثوكليس السراقوسي ضد قرطاجة ولكنهما اختلفا في النهاية فقضى الأخير على أوفلاّس سنة 308 ق.م. وكان ذلك من حسن حظ بطليموس الأول. وفي هذه الأثناء وبينما كان بطليموس الأول يترأس حملة ضد بلاد اليونان سنحت له الفرصة، بمقتل أوفلاّس، لكي يستعيد برقة فكر عائداً لمصر من أجل تلك الغاية وأرسل ماجاس، ابن زوجته برنتشي، على رأس حملة نجحت في استعادة منطقة برقة، فكافأ بطليموس الأول ماجاس على ذلك النجاح بتعيينه سنة 300 ق.م. نائباً عنه في حجمها. ويدل كل هذا الاهتمام الذي أحاط به بطليموس الأول منطقة برقة على أن «قورينائة [منطقة برقة] كانت تعني مصر مباشرة... وقد أثبتت الأيام أن ضم قورينائة لم يزد في قوة بطليموس بل أصبح بمثابة شوكة في جانب البطالمة، فمن ناحية لم يمثل أهلها للخضوع لسلطة أجنبية لأنهم اعتادوا على الحرية والاستقلال، ومن ناحية أخرى كانت الأطماع الشخصية تغري حكامها بالخروج على طاعة الملك»[37].

37- المصدر نفسه، ج1، ص 80.